الحوار مع الآخر

Dialogue with the other

م. م. علي رجب عبد الحليم

M.M. ALI RIJAB ABDULHALEEM

Alirijab77@gmail.com

م. م. أحمد يونس جبار

M.M. Ahmed Younis Jabbar

Ahmed.unes90@gmail.com

الملخص

يعرّف الحوار بأنه كلام يُناقَش بين أطراف معينة باحترام، وهدوء، وبعيدًا عن التعصب لرأي معين، أو الانحياز لجهة على حساب الأخرى، وهو أحد متطلبات الحياة الأساسية والذي ينبغي أن يسود بين الناس، ويمكن بالحوار الهادئ التوصل إلى حقائق معينة، أو تغيير قناعات كانت خاطئة، ويسهم الحوار الناجح في تقريب وجهات النظر وإدامة الودّ بين المتحاورين حتى إن كانت الآراء مختلفة، فاختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية، كما أن الحوار هو فن بحد ذاته، ويوجد مجموعة من الأخلاقيات التي ينبغي الالتزام بها قبل إجرائه مع الآخرين. اقتضى الموضوع أن يقسّم على ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول الحوار ومجالاته الشرعية، وفي المبحث الثاني تكلمتُ حكم الحوار ومراتبه.

Summary:

Dialogue is defined as talk that is discussed between certain parties with respect and calmness, and away from fanaticism for a particular opinion, or bias for one party at the expense of the other, and it is one of the basic requirements of life that should prevail between people, and through calm dialogue it is possible to reach certain facts, or change convictions that were wrong. Successful dialogue contributes to bringing points of view closer and sustaining friendship between the interlocutors, even if the opinions are different. A difference of opinion does not spoil friendship, just as dialogue is an art in itself, and there is a set of ethics that must be adhered to before conducting it with others. The topic required that it be divided into three topics; The first topic is dialogue and its legal fields, and in the second topic, I spoke about the rule of dialogue and its levels.

* * *

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد :

فإنَّ اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سُنّة قدرها وقضاها رب العالمين لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي الابتلاء والاختبار.

يقول تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هُود: ١١٨ - ١١٩] والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين [١] وليس في الألوان والأذواق واللغات ونحوها، وأعمق خلاف بين الأديان هو الخلاف الواقع بين المسلمين وأهل الكتاب "اليهود والنصارى" على وجه الخصوص، فمنذ أنْ حاربهم رسول الله ﷺ وأصحابه وإلى آخر الزمان عندما ينزل عيسى عليه السلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويحكم بشريعة محمد ﷺ، والخلاف مستمر والصراع محتدم بأساليب متنوعة وطرق متباينة، وفي هذا الوقت وبالتحديد منذ منتصف القرن الماضي بعد المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) ظهر تطور جديد في أسلوب التنصير والتبشير وهو التنصير تحت عباءة الحوار والتقارب والتفاهم مع الآخر والاعتراف به والتعاون على القضايا المشتركة بين الأديان.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- استغلال الوقت، وتحيّن الفرص في تبليغ الدعوة من خلال حوار هادف وبناء، يؤدي الى اقناع راسخ.

٢- إبراز أسلوب الحوار بشكلٍ لافت، بحيث يتمّ توظيفه في كثير من المواقف والمناسبات التي تواجه الدعاة.

٣- التأكيد على أنّ الاختلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية.

---

(١) مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: ٤١١/١٨.

منهج البحث:

اتبعتُ منهجاً استقرائياً مجملاً فقمتُ بجمع شتات الموضوع مما قاله الأقدمون والمعاصرون وحاولت الجمع بينهما ؛لأخرج بمفهوم يغطي الموضوع.

خطة البحث:

قسّمتُ الموضوع على مبحثين؛ في المبحث الأول بينتُ المعنى اللغوي والاصطلاحي للحوار.

وفي المبحث الثاني تكلمتُ عن حكم الحوار ومراتبه.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

ثم المصادر والمراجع.

* * *

المبحث الأول

الحوار ومجالاته الشرعية

المطلب الأول: الحوار لغةً واصطلاحاً

معنى الحوار في اللغة مراجعة الكلام وتداوله، والمحاورة المجادلة والتحاور التجاوب, وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام ومنه قولهم لم يحر جوابا أي لم يرد ولم يرجع الجواب فمرجع الحوار للتخاطب والكلام المتبادل بين اثنين فأكثر . (١)

والمعنى اللغوي العام للحوار هو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين فإذا ما أضيف إلى الأديان أصبح معناه ما يدور من الكلام والحديث والجدال والمناقشة بين أتباع الأديان وهذا يدل على أن معناه عام متعدد الأشكال والصور والأنواع بحسب نوعية الكلام والمناقشة. (٢)

أما مدلوله الاصطلاحي فهو غامض يستعمل بأكثر من صورة ويحتاج إلى بيان أنواعه والفروق بأكثر بينها، ولكن التعريف الأنسب هو أنّ الحوار: " نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتمّ فيه تداول الكلام بينهما بطريقةٍ ما ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب" (٣)

أو: "هو مناقشة بين طرفين - أو أطراف- بقصد تصحيح الكلام ، وإظهار حجة ، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي"(٤).

المطلب الثاني: الحوار ضرورة أم غاية؟

قبل البدء ببيان المنهج الصحيح في الحوار بين الأديان لابدّ الإشارة إلى أن الحوار مع الآخر - بالمنهج الصحيح - مطلبٌ ملحٌ لتوضيح الصورة الصحيحة لعقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، وهو

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ٢/ ١١٧، و لسان العرب، لابن منظور-أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مادة(حور): ٤/٢١٧.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة(حور): ٤/٢١٧.

(٣) فنون الحوار والاقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ص/١١.

(٤) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار الاندلس، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م: ص/٢١٢.

وسيلة من وسائل دعوة أهل الأديان عموماً وأهل الكتاب بشكل خاص إلى الإسلام، والدعوة إلى الله تعالى موجهة لكل الناس، وإقناعهم بالحق هدف شرعي مطلوب، وقد قام بالحوار بين الأديان بمعناه الشرعي المطلوب الأنبياء الكرام في حواراتهم الكثيرة مع أقوامهم بطرق مختلفة وأساليب متعددة، والمسلمون هم أقوى الناس حجة وبياناً؛ لأنّ دينَهم دينٌ رباني موافق لعقل الإنسان ونفسه، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك:١٤] ولكن شعار "الحوار" أصبح مثقلاً بكثير من المعاني والأفكار الباطلة التي تنقدح في ذهن كل من يسمع به، ولا يصح أنْ ننفي المعنى الصحيح في الحوار بسبب استعمال البعض له في الباطل، ولكن المنهج القويم هو ردُّ المعنى الباطل وإبراز المعنى الصحيح خاصة إذا علمنا أنّه يتعلق بأمر ضروري في دين الإسلام وهو الدعوة إلى الله تعالى، ولأنّ في ظهور المعنى الصحيح: تبيين للحق وتصحيح لما حصل في هذا الموضوع من الخلط والتخبط بسبب البعد عن مفهومه الشرعي الصحيح، وهذا يقتضي قيام مؤسسات إسلامية للحوار بمنهجية صحيحة وأسلوب حسن وعقد المؤتمرات لهذا الغرض، وكتابة الدراسات العلمية والعملية المؤصلة له من الكتاب والسنة. (١)

والحقيقة أنّ المؤسسات الإسلامية القائمة بالحوار الآن قائمة على منهج مخالف للمنهج الرباني، ولا يوجد مؤسسة قائمة بالمنهج الصحيح في الحوار (٢) تحت هذا المسمى.

ولعل من أبرز الأسباب أنّ الدعوة للحوار جاءت من النصارى وليست من المسلمين (٣) ، ولأنها لا تناقش بيان الحق بالأدلة والبراهين المقبولة بل أعرضت عن ذلك قصداً وأصبح الحوار عبارة عن تفاوض على القضايا المشتركة الذي يكون في العادة بين الدول في المصالح الدنيوية المشتركة، وهذا ما لا يوجد معناه في طبيعة الأديان التي جانبها الإيماني، ومقصدها الأخروي هو الأصل مع ضرورة التنبيه إلى شمولية الإسلام دون غيره من الأديان لأمور الدنيا والآخرة وللأمور الإيمانية والعملية وجميع النشاط البشري. (٤)

(١) ينظر: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، مجلة الإسراء، غزة، العدد/٢٠، ١٩٩٨م: ص/٦٣.

(٢) قام عدد من علماء الازهر بمعارضة فكرة الحوار بين الأديان معارضةً شديدة ، وتزعّم هذه المعارضة مجموعة من العلماء يرأسهم الدكتور يحيى اسماعيل . ينظر: جريدة البيان الاماراتية، ١٠/١٧/ ٢٠٠١م.

(٣) كانت هناك عدة مطالبات من قبل الفاتيكان للحوار تم رفضها من قبل الأزهر كما رفض عقد مؤتمر للحوار بين الاديان كان من المفروض أن يعقد سنة ٢٠٠٠م.

(٤) ينظر: كتاب الأمة» الحوار: الذات والآخر» عبد الستار إبراهيم الهيتي، دار الكتب القطرية، قطر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ص/ ٣٢.

المطلب الثالث: مجالات الحوار

قبل الدخول في بيان المنهج الشرعي في الحوار بين الأديان لابدّ من التنبيه إلى أنّ الحوار مع غير المسلمين له مجالان:

الأول: الحوار في أمور دنيوية بحتة، وهذا ما يسمى بالمفاوضات وهي خاضعة للسياسة الشرعية ضمن إطار أحكام الإسلام في الصلح والمعاهدة وما يتعلق بذلك من التعامل الدنيوي الذي ليس له ارتباط بالأديان والعقائد والمفاهيم وبناء على ذلك فليس هناك مبرر في إضافة هذا النوع إلى الأديان، وقد يطلق على هذا اسم التعايش وقد يراد بالتعايش التقارب الفكري المباشر والتفاهم الديني : بالتنازل عن شيء من أحكام الدين لما يظن فيه أنه من المصلحة.

الثاني: الحوار في الأمور الدينية وهذا ما يؤديه إضافة الحوار إلى الأديان فيكون الحوار إذن في الأمور الدينية وحول مفاهيم العقائد والقضايا الدينية محل الاختلاف مثل التوحيد والإيمان والبعث ونحو ذلك. (١)

وإذا كان الحوار في أمور دنيوية بحتة فإنّه لن يكون هناك ما يبرر إضافة الموضوع إلى محمول، فالإضافة والإسناد دليل على الاختصاص والتمييز، ويعتبر الخلط بين هذين المحالين هو السبب المباشر في الانحراف الحاصل في موضوع الحوار، وبيان ذلك هو أنّه تم تنزيل مقام المفاوضات السياسية في منزلة الحوار الديني وأصبحت مؤتمرات الحوار تناقش قضايا دنيوية سياسية مع الإغفال التام والمقصود للقضايا الدينية، ومع ذلك تضاف هذه الحوارات إلى الأديان على اعتبار نوعية الحضور والشخصيات المشاركة وليس على اعتبار القضايا المطروحة للحوار، وحينئذ أصبحت الصورة هي شخصيات دينية (علماء وغيرهم) يناقشون قضايا سياسية ثم تسمى (حوار بين الأديان). (٢)

وقام بهذا العمل جهتان:

إحداهما: قامت به جهات معينة بخبث واستغلال للقضايا الدينية في تحقيق مآرب سياسية ذات خلفية دينية، ويمثل هذه الجهة القوى الاستعمارية الكبرى، والكنيسة الكاثوليكية المتداعية.

---

(١) ينظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم ، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ص/ ٧٧-٧٨.

(٢) ينظر: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ص/ ٦٤-٦٥.

والثانية: قامت به جهات أخرى بحسن نية تحسب في ذلك مصلحة للأمة، وتحقيق مقاصد شرعية ويمثل هذه الجهات بعض مؤسسات الحوار، والشخصيات الإسلامية المشاركة في المؤتمرات الحوارية التي تسعى لتحقيق قضايا مشتركه لنفع الإنسانية وتظن أنها تحقق مكاسب للأمة الإسلامية. (١)

* * *

(١) ينظر: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: ص/٦٥.

المبحث الثاني

حكم الحوار ومراتبه

المطلب الأول: حكم الحوار بين الأديان

الأصل الشرعي في الحوار مع أهل الأديان: الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل بالأدلة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عِمران: ١٠٤] وهذا الأصل الشرعي مأخوذ من بيان الله تعالى لدعوة الرسل الكرام لأقوامهم, وقد كان أقوامهم على أديان مختلفة ومتباينة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النَّحل: ٣٦] وكل نبي يبعثه الله لقوم يقول لهم ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ﴾ [الأعرَاف: ٥٩] ومن خلال تتبع الآيات والأحاديث المبينة لحوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم نجد أنّها دعوة وبيان للحق وكشف للباطل وبيان لضرره في الدنيا والآخرة، ولم نجد شيئاً يدل على محاولة القرب من الأديان أو العمل معهم في القضايا المشتركة والبعد عن نقاط الخلاف لا سيما العقائد كما هو حال أكثر مؤتمرات الحوار اليوم، بل نجد محاولة من المشركين للتقارب ولكنها ترفض من الأنبياء الكرام معهم كما حدث في عرض كفار قريش التقارب من الإسلام حيث قالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد, وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر"، فنزلت سورة الكافرون[1] فليس في المنهج الرباني تحاور مع الأديان بمعنى التقارب فضلاً عن الوحدة، بل هو دعوة ومجادلة وبيان للحق، وسوف نكتفي بتتبع المنهج الشرعي في حوار أهل الكتاب بشكل خاص لكثرة محاورة القرآن والسنة لهم، ولكونهم أهل الحوار الآن ولعدم وجود ما يخالف طريقة القرآن في حواره معهم عن الحوار مع غيرهم.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٦٦١/٢٤.

المطلب الثاني: مراتب الحوار:

وقد قام المنهج الشرعي في حوار الأديان عموماً وأهل الكتاب خصوصاً على أربع مراتب متنوعة، ومع ذلك فهي تلتقي في الدعوة العامة للإسلام, وهذه المراتب هي:

أولاً: مرتبة الدعوة:

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمران: ٦٤] هذه الآية الكريمة تعتبر نصاً في موضوع الحوار ولا يمكن أن يتجاوزها من أراد معرفة حكم الله تعالى في الحوار بين الأديان، وقد بين مدلول الحوار في هذه الآية رسول الله ﷺ في خطابه المرسل إلى هرقل وهو يتضمن الدعوة إلى الإسلام لا التقريب بين دينهم ودين الإسلام, يقول ﷺ: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ»، ثم قرأ الآية السابقة [1] والآية السابقة هي ما يسمى بلغة العصر "ميثاق الوفاق"، ويتضح في الآية بجلاء تحديد موضوع الحوار، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك الشرك، ولهذا فسّر الصحابة ومن بعدهم "الكلمة السواء" في الآية بـ (لا إله إلا الله)، ولذا فالمنهج الشرعي في حوار الأديان من جهة الدعوة وبيان الحق جاء من خلال ثلاث زوايا:

١- موضوع الحوار:

ركز الشارع الحوار مع أهل الأديان عامة وأهل الكتاب خاصة من الناحية الموضوعية في القضايا الحساسة التي تعتبر مفاصل مهمة ومفارق خطيرة بين المسلمين وبينهم, ويمكن اختصارها على النحو التالي:

أ. الدعوة إلى التوحيد وإبطال الشرك يبين ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمران: ٦٤] وكذلك كتب الرسول ﷺ إلى أهل الأمصار

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، باب بدء الوحي: ٩/١، برقم (٧)، وصحيح مسلم، باب كتاب النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام : ٥/ ١٦٣، برقم (٤٧٠٧)، عن ابن عباس(رضي الله عنهما).

تتضمن الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وهذا هو هدف بعثة الرسل الكرام. (١)

ب. الدعوة إلى الإيمان برسالة محمد والتزام دينه يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المَائدة:١٩].

ج. الدعوة إلى ترك الغلو والقول على الله بغير الحق في شأن الإلوهية وعيسى وأمه (عليهما السلام) يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

د.الدعوة للإيمان بالقرآن. يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَـٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧﴾ [النِّسَاء: ٤٧] ويقول تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨﴾ [آل عِمران: ٩٨](٢).

٢- أسلوب الحوار:

أسلوب الحوار مع أهل الأديان وأهل الكتاب خصوصاً يختلف بحسب اختلاف أصناف الناس، فاختلاف الأساليب مبنية على اختلاف المخاطب بها وقد تنوعت أساليب القرآن على النحو التالي:

أ. الأسلوب المباشر في الدعوة. يقول تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عِمران: ٦٤].

ب. أسلوب التذكير. يقول تعالى: ﴿يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ٤٧﴾ [البَقَرَة: ٤٧].

---

(١) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) -أبي سعيد عبدالله بن عمر (ت:٦٨٥:هـ)، تحقيق عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ٢١/٢، و تفسير المنار، محمد رشيد بن علي الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م: ٣/ ٢٦٨.

(٢) ينظر: الحوار في القرآن، قواعده أساليبه، ومعطياته، محمد حسين فضل الله، دار الملاك ، بيروت، ط٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م: ص/١٠٣-١٠٤.

ج. أسلوب الترغيب والترهيب. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المَائدة: ٦٦]، ويقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المَائدة: ٧٣].

د. أسلوب الإنكار. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عِمران:١٧](١).

٣- وسائل الحوار التي استخدمها رسول الله ﷺ .

تعددت الوسائل في الحوار مع أهل الأديان عموماً وأهل الكتاب خصوصاً ومنها:

أ. الذهاب إليهم في نواديهم ومحافلهم وأسواقهم وبيوتهم. (٢)

ب. الكتابة إلى زعمائهم وحكامهم. (٣)

ج. استقبال وفودهم. (٤)

د. دعوتهم أثناء الغزو والجهاد. (٥)

---

(١) ينظر: الحوار في القرآن، قواعده أساليبه، ومعطياته: ص/١١٠-١١١.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م: ٢٢٦/٢٠، و البحر المحيط (تفسير أبي حيان) - أبي حيان محمد بن يوسف (ت:٧٥٤هـ)، مراجعة حنفي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م: ٥٥٨/١٠.

(٣) كما في كتب النبي لملوك الأرض آنذاك كسرى وهرقل .. وقد سبقت الاشارة الى رسالته الى هرقل.

(٤) روى الطبراني والبيهقي عن كرز بن علقمة قال: «قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ، سِتُّونَ رَاكِبًا، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ...الحديث» المعجم الاوسط: ١٧٦/٤، برقم (٣٩٠٦)، ودلائل النبوة، للبيهقي، باب وفد نصارى نجران: ٣٨٢/٥.

(٥) كما في الحديث عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ...» صحيح مسلم، باب تَأْمِيرِ الإِمَامِ الأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ: ١٣٩/٥، برقم (٤٦١٩).

هـ. مناقشة علمائهم والاطلاع على كتبهم للاحتجاج عليهم. (١)

و. إسماعهم القرآن وتلاوته عليهم. (٢)

ثانياً: مرتبة المجادلة.

المناقشة والمجادلة تتضمن أمرين:

١- إقامة البرهان والدليل القاطع على صدق الحق وصحته.

٢- الرد الصحيح على الشبهات المانعة من قبول الحق.

ومع ورود آيات كثيرة في النهي عن الجدل وذمّه كقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غَافِر: ٥] إلا أنّ ثمة آيات أخرى تأمر بالجدل كقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النَّحل: ١٢٥] والجمع بينهما هو أنّ الجدل المذموم هو الجدل بالباطل ولنصرته، والجدل المحمود هو الجدل لنصرة الحق وإقامة الدليل عليه، وقد أمر الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالأسلوب الحسن في قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العَنكبُوت: ٤٦] وهذه الآية تدلّ على أنّ أهل الكتاب وأصحاب الأديان نوعان:

أحدهما: من يريد الحق ويسعى إليه، وهذا يجادل ويُناقش بالتي هي أحسن، وهي: "الأدلة العقلية المقنعة" مثل الاستدلال بالآيات البينات.

الثاني: المعاند المحارب المعرض عن الحق، وهذا لا يُجادل بل يُقاتل في سبيل الله. (٣)

---

(١) روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ فَقَالُوا نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَقَالُوا صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ..» صحيح البخاري، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}: ٢٠٦/٤، برقم (٣٦٣٥).

(٢) روى الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ «إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ يَجْهَرُ بِهِ» ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَطْرُدُونَ النَّاسَ عَنْهُ، وَيَقُولُونَ: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» المعجم الأوسط، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ١٥/٢، برقم (١٠٧٦)

(٣) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث ، القاهرة، ط١: ص/٨٢.

ولا شك أنّ مناقشة أهل الأديان لا تكون بالنصوص الشرعية لأنّه لا يؤمن بها من حيث المبدأ؛ بل تكون بالأدلة العقلية الصحيحة، والقرآن الكريم يتضمن الأدلة العقلية على قضايا العقائد بوضوح تام فقد جاء بالحق في المسائل والدلائل. ولعل أبرز الأدلة العقلية التي تقرر إثبات النبوة ما يأتي:

١- تضمن الوحي لأدلّة ثبوته من عدة جهات:

أ. من جهة التحدي بالإتيان بمثل القرآن أو سورة من سورِه في بيانه وبلاغته.

ب. ومن جهة ما ورد فيه من الأخبار الغيبية التي لا يمكن أنْ يعلمها النبي (r) بأيّ وسيلة بشرية مثل حفظ القرآن وظهور الإسلام على جميع الأديان ونحوهما من الغيبيات .

ج. ومن جهة مطابقته للكشوف العلمية في جميع المجالات مثل الطب والفلك والطبيعة.

٢- دلالة المعجزات على النبوة.

٣- دلالة أحوال النبي وصفاته على نبوته ﷺ وأبرز مثال له حديث هرقل الطويل وسؤاله عن أحوال النبي ﷺ ودلائل نبوته. (١)

ولابدّ من الإشارة أنّ كلّ قضية عقدية يمكن الاستدلال العقلي عليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ويكون بإثبات النبوة عقلاً، وهي بدورها تدلّ على صدق ما يخبر به النبي من قضايا العقائد والأعمال.

وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العَنكبُوت:٤٦] فائدتان في موضوع المجادلة لأهل الأديان عموماً وأهل الكتاب خصوصاً:

الأولى: استعمال الأدب الحسن والخلق الرفيع قولاً وفعلاً أثناء المناقشة؛ لأن ذلك أدْعى للقبول والتأثير وهذا مأخوذ من قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

والثانية: الإعراض عن مجادلة المعاند الذي لا يريد الوصول إلى الحق أو المقاتل المحارب الذي يتحين الفرصة لإلحاق الأذى بالمسلمين. (٢)

ثالثاً: مرتبة المباهلة.

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا

(١) ينظر: المعرفة في الاسلام، عبد الله القرني، عالم الفوائد، القاهرة، ط١: ص/ ١٣١ وما بعدها.
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٥٢١.

وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عِمران:٦١] فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي: "نتداعى باللعن، يقال عليه بَهْلة الله وبُهلته أي لعنته"، (١) والابتهال هنا أي: التضرع في الدعاء باللعن (٢) وهذه الرتبة في الحوار مع أهل الأديان إنّما تكون لمن يجادل بالباطل، أو اتضح له الحق وقامت عليه الحجة وأعرض عنها. يقول ابن القيم في فقه قصة وفد نجران: "ومنها: أنّ السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله, ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أنْ يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إنّ ذلك ليس لأمتك من بعدك"(٣).

وهذه درجة متقدمة في حوار أهل الكتاب ولها فائدة عظيمة من جهتين:

١-إظهار التحدي والثقة التامة بأنّ الداعي إلى المباهلة على الحق.

٢-تخويف المعاند بتعريضه للعنة الله تعالى فربما كان ذلك سبب في رجوعه.(٤)

رابعاً : مرتبة المفاصلة والبراءة.

المفاصلة والبراءة بين المسلمين والكفار بكل أصنافهم ثابتة قبل الحوار، ولكن المراد بها هنا نوعاً خاصاً هو بمنزلة البيان الختامي للحوار الذي يتولى ويعرض فيه المحاور عن الحق, كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمران:٦٤] ويقول تعالى : ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البَقَرَة:١٣٧] وبهذا يتبين أنّه بعد الدعوة والبيان التام وكشف الشبهة وإقامة الحجة فإنّ المحاور يتحدد موقفه إما الإسلام، وإما التولي، "وحينئذ فلابد من الحجة والإعلان والإشهاد بعد المحاورات والمفاوضات المنتهية بالتولي والإعراض بأنّا مسلمون, ومن سوانا ليسوا كذلك".(٥) وهذا يدلّ على أنّه لا تترك الأمور بدون توضيح وبيان.

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م: ص/١٠٦.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، للثعلبي- أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م: ٨٤/٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت:٧٥١هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ٣/ ٦٢٣.

(٤) ينظر: دعوة التقريب بين الاديان، أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ: ٤/ ١٥٧٦.

(٥) دعوة التقريب بين الأديان: ٤/ ١٥٧٧.

المطلب الثالث: آية الحوار بين الفهم الصحيح والفهم الفاسد :

أصرح آية في الحوار بين الأديان في القرآن هي آية آل عمران المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمران:٦٤] وهذه الآية فهمها بعض المثقفين والكتاب على غير وجهها واعتمدوا في فهمها على مجرد الرأي بعيداً عن الرجوع لأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين السابقين. والفهم الصحيح لها هو: أنّ في هذه الآية دعوة لأهل الكتاب - وهي شاملة لغيرهم أيضاً - إلى التوحيد الخالص وعبادة الله تعالى وحده، فالكلمة السواء هي شهادة أن لا اله إلا الله ويبين ذلك قوله في الآية : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عِمران:٦٤] وهذا يعني أنّهم قبل هذه الدعوة ليسوا كذلك وهذا ما يدل عليه حالهم وواقعهم. وقوله {ألا تعبدوا إلا الله} تفسير لكلمة السواء فأصل (ألا) هو أنْ لا و "أن" هنا تفسيرية حيث تقدمها ما يدلّ على معنى القول وهي (كلمة) وحينئذ تكون الجملة بعدها مفسرة لمعنى الكلمة السواء. (١)

وقد فهم البعض أنّ الكلمة السواء هنا بمعنى أنّ حوارنا معكم لا بد له من قاعدة نقف نحن وإياكم عليها لنجاح الحوار وهو أمر موجود فينا وفيكم قبل الحوار وهو قدر مشترك فيما بيننا وبينكم !! وهذا الفهم مناقض لمفهوم الآية التي دعت أهل الكتاب للوصول إلى نتيجة ليست موجودة عندهم وهي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عِمران:٦٤] كما أنّ اعتبار هذه الآية قدراً مشتركاً يجعل من الحوار معهم أمراً لا فائدة منه لأن التوحيد الخالص موجود فيهم حسب الفهم السابق. (٢)

وهذا القول في أهميته في مجادلة أهل الكتاب والحوار معهم إلا أنّه ليس هو معنى أيه آل عمران المتقدمة فيما يبدو صريحة في الدعوة والحوار المباشر حول التوحيد وترك الشرك كما تقدم. وقد أوّل بعض الكتاب الكلمة السواء في الآية إلى أنها "فعل الصالحات النافعات للبشرية ومواجهة الطغيان وتحقيق معرفة كل طرف بالآخر وإزالة الفهم دون المحاولة إلى إلغاء الخصوصيات" (٣).

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٩٩/٣، و تفسير القرآن العظيم، لابن كثير- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ٤٥/٢.

(٢) ينظر: مقال : قواعد الحوار مع أهل الكتاب، د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم.

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي، د. يوسف الحسن(الفرص والتحديات)، المجمع الثقافي، أبو ظبي،ط١، ١٤١٧هـ: ص/٤٣-٤٤.

الخاتمة

١- الحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تداول الكلام بينهم بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة.

٢- الحوار أوسع مدلولاً من الجدال : لأن الجدال يتضمن معنى الصراع، بينما الحوار يتسع له ولغيره.

٣- أهداف الحوار وغاياته متعددة، فهو يستهدف الحقائق ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الإيمان.

٤- إن الحوار في القرآن الكريم قد شمل أقوم الطرق وأفضل المناهج، وهو قادر على إقناع الناس جميعاً إذا احتكموا إليه.

٥- إن الواجب على من يتصدى للحوار، أن يكون على بينة من الموضوع الذي بد اور فيه والقضية التي يجري النقاش فيها، حتى لا يكون بعيداً عن قواعد الحوار وضوابطه، كما أنه ينبغي عليه أن يتزود بالثقافة العامة التي تجعله قوياً في حجته أمام خصومه، ليسهل عليه الوقوف على نقاط القوة والضعف عند خصمه.

٦- إن عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومن أهم هذه القواعد الاحت رام المتبادل بين المتحاورين، وعدم الاستعجال بالرد على الخصم، والمد اورة بأفضل الأسماء والألقاب، والهدوء في الحوار والتركيز على الرأي لا على صاحبه، والبعد عن التعصب، وإبراز الحقائق الثابتة في الحوار، والرفق واللين والمداراة والبعد عن المداهنة.

* * *

المصادر والمراجع

١- أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) - أبي سعيد عبدالله بن عمر (ت:٦٨٥:هـ)، تحقيق عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

٢- البحر المحيط (تفسير أبي حيان) - أبي حيان محمد بن يوسف (ت:٧٥٤هـ)، مراجعة حنفي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث ، القاهرة، ط١.

٤- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م.

٦- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) - أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٧- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (- ﷺ -) وسننه وأيامه (صحيح البخاري) - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٩- الحوار الاسلامي المسيحي، د. يوسف الحسن(الفرص والتحديات)، المجمع الثقافي، أبو ظبي،ط١، ١٤١٧هـ.

١٠- الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، مجلة الإسراء، غزة، العدد/٢٠، ١٩٩٨م .

١١- الحوار: الذات والآخر" عبد الستار إبراهيم الهيتي، دار الكتب القطرية، قطر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢- الحوار في القرآن، قواعده أساليبه، ومعطياته، محمد حسين فضل الله، دار الملاك ،

بيروت، ط٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٣- دعوة التقريب بين الاديان، أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
١٥- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم ، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
١٦- غريب القرآن، لابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
١٧- فنون الحوار والاقناع، محمد راشد ديماس، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٨- في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، للثعلبي- أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
٢٠- لسان العرب، لابن منظور- أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
٢١- معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار الاندلس، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٢- المعجم الأوسط، للطبراني- أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٣- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢٤- المعرفة في الاسلام، عبد الله القرني، عالم الفوائد، القاهرة، ط١.
٢٥- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

* * *